The Word for Today	الكَلِمَة لِهَذا اليَوم
Job 23:11-28:28	أيُّوب 23: 11 28: 28
#554	الحلقة الإذاعيَّة رقم: 864
Pastor Chuck Smith	الرَّاعي تشَك سميث

[المقدِّمة]

(مقدِّمُ البرنامَج)

أعزَّاءَنا المستَمعينَ، أهلًا بكُمْ في حلقةٍ جديدةٍ من البرنامجِ الإذاعيِّ ''الكلمةُ لِهَذا اليَوم''، حيث سنُتابِعُ في هذه الحَلَقةِ بنعمةِ اللهِ القديرِ دراستَنا في سِفرِ أيُّوبَ من إعدادِ القسِّ تشَك سميث.

في الحَلَقةِ السابقةِ من برنامَجِنا، بيَّنَ القسُّ تشَك الرابطَ ما بينَ طاعةِ أيُّوبَ، وحِفظِه لكلمةِ اللهِ.

وفي حلَقةِ اليومِ من برنامَج ''الكلمةُ لِهذا اليوم''، سنرى أنَّ أيُّوبَ لا يزالُ عاجزًا عن فَهْمِ ما يحدُثُ له، لكنَّه مُصمِّمٌ على السَّيرِ بالإيمانِ والطَّاعة.

إذا كانَ لدَيكَ كِتابٌ مقدَّسٌ، فنَرجو أن تفتَحَه على الأصحاحِ الثَّالثِ والعِشرينِ من سِفرِ أيُّوبَ، والعددِ الحادي عشر. أمَّا إذا لم يَكُنِ الكتابُ المقدَّسُ معَكَ الآنَ، فنرجو أن تُصْغِيَ، عزيزي المستَمِع، بروحِ الصَّلاةِ والخُشوعِ.

[متن العِظة القسُّ تشَك]

نبدأ أعزَّاءَنا المستَمِعين في حلَقة اليومِ من برنامَجِ ''الكلمةِ لِهَذا اليوم'' دراستَنا من سِفرِ أيُّوبَ الأصحاحِ الثالثِ والعِشرينَ، والأعدادِ من الحادي عشر إلى السابِعَ عشرَ، وجاء فيها:

''بخَطَواتِهِ استَمسَكَتْ رِجلي. حَفِظتُ طريقَهُ ولَمْ أحِدْ. مِنْ وصيَّةِ شَفَتَيهِ لَمْ أبرَحْ. أكثَرَ مِنْ فريضَتي ذَخَرتُ كلامَ فيهِ. أمَّا هو فوَحدَهُ، فمَنْ يَرُدُّهُ؟ ونَفسُهُ تشتَهي فيَفعَلُ. لأنَّه يُتَمِّمُ المَفروضَ علَيَّ، وكثيرٌ مِثلُ هذِهِ عِندَهُ. مِنْ أجلِ ذلكَ أرتاعُ قُدَّامَهُ. أتأمَّلُ فأرتَعِبُ

مِنهُ. لأنَّ اللهَ قد أضعَفَ قَلبي، والقديرَ رَوَّعَني. لأنِّي لَمْ أُقطَعْ قَبلَ الظَّلامِ، ومِنْ وجهي لَمْ يُغَطِّ الدُّجَى''.

ما يلفِتُ النَّظرَ في العددَينِ الأوَّلَينِ من هذا المقطَعِ أنَّ كلمةَ اللهِ كانَتْ مكرَّمةً في أيَّامِ أيُّوبَ الذي كان معاصِرًا لموسى إنْ لم يكُنْ قبلَ موسى، ويبدو أنَّ كلامَ اللهِ كانَ في ذلك الحينِ مكتوبًا بصورةٍ ما.

لكنَّ أيُّوبَ سُرعانَ ما عادَ أيُّوبُ إلى نَبرةِ اليأسِ في الأعدادِ المتبقِّيةِ من المقطعِ.

وننتَقِلُ الآنَ إلى الأصحاحِ الرابعِ والعِشرينَ والأعدادِ من الأوَّلِ إلى السابِعَ عشرَ لنُتابِعَ ما قالَه أيُّوبُ، ونقرأُ فيها:

''لماذا إذ لَمْ تختَبِئِ الأزمِنَةُ مِنَ القديرِ، لا يَرَى عارِفوهُ يومَهُ؟ يَنقُلونَ التُّخومَ. يَغتَصِبونَ قَطيعًا ويَرعَوْنَهُ. يَستاقونَ حِمارَ اليَتامَى، ويَرتَهِنونَ ثَوْرَ الأرمَلَةِ. يَصُدُّونَ الفُقَراءَ عن الطريقِ. مَساكينُ الأرضِ يَختَبِئونَ جميعًا. ها هُم كالفَراءِ في القَفرِ يَخرُجونَ إلَى عَمَلِهِمْ يُبَكِّرونَ للطَّعامِ. البادِيَةُ لهُمْ خُبزٌ لأولادِهِمْ. في الحَقلِ يَحصُدونَ عَلَفَهُمْ، ويُعَلِّلونَ كرمَ الشِّرِّيرِ. يَبيتونَ عُراةً بلا لِبسٍ، وليس لهُمْ كُسوَةٌ في البَردِ. يَبتَلُّونَ مِنْ مَطَرِ الجِبالِ، ولِعَدَمِ المَلجإ يَعتَنِقونَ الصَّخرَ. يَخطَفونَ اليَتيمَ عن الثَّديِّ، ومِنَ المَساكينِ يَرتَهِنونَ. عُراةً يَذهَبونَ بلا لِبسٍ، وجائعينَ يَحمِلونَ حُزَمًا. يَعصِرونَ الزَّيتَ داخِلَ أسوارِهِمْ. يَدوسونَ المَعاصِرَ ويَعطَشونَ. مِنَ الوَجَعِ أُناسٌ يَئنُّونَ، ونَفسُ الجَرحَى تستَغيثُ، واللهُ لا يَنتَبِهُ إلَى الظُّلمِ. أولئكَ يكونونَ بَينَ المُتَمَرِّدينَ علَى النُّورِ. لا يَعرِفونَ طُرُقَهُ ولا يَلبَثونَ في سُبُلِهِ. مع النُّورِ يَقومُ القاتِلُ، يَقتُلُ المِسكينَ والفَقيرَ، وفي اللَّيلِ يكونُ كاللِّصِّ. وعَينُ الزَّاني تُلاحِظُ العِشاءَ. يقولُ: لا تُراقِبُني عَينٌ. فيَجعَلُ سِترًا علَى وجهِهِ. يَنقُبونَ البُيوتَ في الظَّلامِ. في النَّهارِ يُغلِقونَ علَى أنفُسِهِمْ. لا يَعرِفونَ النُّورَ. لأنَّهُ سواءٌ علَيهِمُ الصَّباحُ وظِلُّ المَوتِ. لأنَّهُمْ يَعلَمونَ أهوالَ ظِلِّ الموتِ''.

يتكلَّمُ أيُّوبُ هنا عن أشخاصٍ يرتَكِبونَ أعمالًا قَذِرةً في اللَّيلِ، ولا يَخرُجونَ في النَّهارِ؛ لأنَّهُم يخافونَ من النُّورِ. وقد تكلَّمَ يسوعُ المسيحُ عن أمثالِ هؤلاءِ في إنجيلِ يوحنَّا الأصحاحِ الثالثِ والعددِ التاسِعَ عشرَ، وجاء فيه:

''وهذِهِ هي الدَّينونَةُ: إنَّ النُّورَ قد جاءَ إلَى العالَمِ، وأحَبَّ النَّاسُ الظُّلمَةَ أكثَرَ مِنَ النُّورِ، لأنَّ أعمالهُمْ كانتْ شِرِّيرَةً''.

ونواصِلُ تأمُّلاتِنا في كلماتِ أيُّوبَ في الأعدادِ من الثامنَ عشرَ إلى الحادي والعِشرينَ من الأصحاح الرابعِ والعِشرينَ، وجاء فيها:

''خَفيفٌ هو علَى وَجهِ المياهِ. مَلعونٌ نَصيبُهُمْ في الأرضِ. لا يتَوَجَّهُ إلَى طريقِ الكُرومِ. القَحطُ والقَيظُ يَذهَبانِ بمياهِ الثَّلجِ، كذا الهاويَةُ بالَّذينَ أخطأوا. تنساهُ الرَّحِمُ، يَستَحليهِ الدُّودُ. لا يُذكَرُ بَعدُ، ويَنكَسِرُ الأثيمُ كشَجَرَةٍ. يُسيءُ إلَى العاقِرِ التي لَمْ تلِدْ، ولا يُحسِنُ إلَى الأرمَلَةِ''.

يَلفِتُ أيُّوبُ النَّظَرَ هنا إلى مشهَدِ الموتِ حينَ يلتَهِمُ الدُّودُ الجُثَّةَ.

بعدَ ذلك نرى أنَّ بَلدَدَ لم يَعُدْ لدَيه ما يقولُه لأيُّوبَ عِندَ ذلك الحدِّ. بل رُبَّما لم يَعُدْ لدى أيٍّ من الأصحابِ الثلاثةِ أن يُجادِلُ منطِقَ أيُّوبَ، فيبدو أنَّ أيُّوبَ تمكَّنَ من إثباتِ قضيَّتِه.

وننتَقِلُ الآنَ إلى الأصحاحِ الخامسِ والعِشرينَ، والأعدادِ الأربعةِ الأولى منه، حيثُ نسمعُ كلامًا جديدًا من بَلدَدَ الشوحيِّ، والذي يقول:

''فأجابَ بلدَدُ الشُّوحيُّ وقالَ: السُّلطانُ والهَيبَةُ عِندَهُ. هو صانِعُ السَّلامِ في أعاليهِ. هل مِنْ عَدَدٍ لجُنودِهِ؟ وعلَى مَنْ لا يُشرِقُ نورُهُ؟ فكيفَ يتَبَرَّرُ الإنسانُ عِندَ اللهِ؟ وكيفَ يَزكو مَوْلودُ المَرأةِ؟''.

بحَسَبِ قَولِ بَلدَدُ لأيُّوبَ، فإنَّ أيُّوبَ يحاوِلُ أن يبرِّرَ نفسَه أمامَ اللهِ القدُّوسِ. فمَن يستطيعُ أن يفعلَ ذلكَ؟ والحقيقةُ هي أنَّ الإنسانَ لا يقدرُ أن يتبرَّرَ بمَعزِلٍ عن المسيحِ؛ إذ لا يمكنُ أن يكونَ اللهُ عادلًا، ويَغفِرَ الخطايا دون الاستِنادِ إلى عَمَلِ المسيحِ.

ويواصِلُ بلدَدُ خِطابَه القصيرَ في العددَينِ الخامسِ والسَّادِسِ من الأصحاحِ الخامسِ والعِشرينَ، وجاءَ فيهِما:

’’هوذا نَفْسُ القَمَرِ لا يُضيءُ، والكَواكِبُ غَيرُ نَقيَّةٍ في عَينَيهِ. فكمْ بالحَريِّ الإنسانُ الرِّمَّةُ، وابنُ آدَمَ الدُّودُ؟‘‘.

بعدَ ذلك ننتَقِلُ إلى الأصحاحِ السادسِ والعِشرينَ لنرى ردَّ أيُّوبَ على الخِطابِ القصيرِ لبَلْدَدُ، وذلكَ في الأعدادِ من الأوَّلِ إلى السابِعِ، وجاء فيها:

’’...كيفَ أعَنتَ مَنْ لا قوَّةَ لهُ، وخَلَّصتَ ذِراعًا لا عِزَّ لها؟ كيفَ أشَرتَ علَى مَنْ لا حِكمَةَ لهُ، وأظهَرتَ الفَهمَ بكَثرَةٍ؟ لمَنْ أعلَنتَ أقوالًا، ونَسَمَةُ مَنْ خرجَتْ مِنكَ؟ الأخيلَةُ ترتَعِدُ مِنْ تحتِ المياهِ وسُكَّانِها. الهاويَةُ عُريانَةٌ قُدَّامَهُ، والهَلاكُ ليس لهُ غِطاءٌ. يَمُدُّ الشَّمالَ علَى الخَلاءِ، ويُعَلِّقُ الأرضَ علَى لا شَيءٍ‘‘.

ونرى هنا عبارةً مثيرةً للاهتِمامِ، لا سيَّما أنَّها تَرِدُ في سِفرٍ معاصِرٍ لسِفرِ التَّكوينِ تقريبًا. حيثُ يقولُ أيُّوبُ إنَّ الربَّ القديرَ علَّقَ الأرضَ على لا شيء، عِلْمًا أنَّ حُكَماءَ ذلك الزَّمانِ كانوا يعتقدونَ أنَّ الأرضَ محمولةٌ على ظَهرِ فيلٍ، أو أنَّ الإلهَ أطلسَ يحمِلُها ما بين يدَيهِ. لكنَّ أيُّوبَ يقولُ إنَّ الأرضَ معلَّقةٌ على لا شيءَ بقوَّةِ اللهِ القديرِ. وهذا مثيرٌ للاهتِمامِ حقًّا.

ونستمرُّ في تأمُّلِ كلامِ أيُّوبَ في الأعدادِ من الثامنِ إلى الرابعَ عشرَ، ونقرأُ فيها:

’’يَصُرُّ المياهَ في سُحُبِهِ فلا يتَمَزَّقُ الغَيمُ تحتَها. يَحجُبُ وجهَ كُرسيِّهِ باسِطًا علَيهِ سحابَهُ. رَسَمَ حَدًّا علَى وجهِ المياهِ عِندَ اتِّصالِ النُّورِ بالظُّلمَةِ. أعمِدَةُ السَّماواتِ ترتَعِدُ وتَرتاعُ مِنْ زَجرِهِ. بقوَّتِهِ يُزعِجُ البحرَ، وبفَهمِهِ يَسحَقُ رَهَبَ. بنَفخَتِهِ السماواتُ مُسفِرَةٌ ويَداهُ أبدأتا الحَيَّةَ الهارِبَةَ. ها هذِهِ أطرافُ طُرُقِهِ، وما أخفَضَ الكلامَ الذي نَسمَعُهُ مِنهُ وأمَّا رَعدُ جَبَروتِهِ فمَنْ يَفهَمُ؟‘‘.

ويلفِتُ أيُّوبُ نظَرَنا هنا إلى أنَّ اللهَ العليَّ صمَّمَ السَّحابةَ لأنْ تحمِلَ المَطَرَ. رُغمَ أنَّ السَّحابةَ بسيطةُ التكوين، حيث يمكنُنا أن نفرِّقَها بتمريرِ يدِنا في بخارها، فإنَّها تحملُ مقدارًا من المَطرِ تُلقيه في وقتٍ محدَّدٍ.

لننتَقِلِ الآنَ إلى الأصحاحِ السابِعِ والعِشرينَ والأعدادِ الستَّةِ الأولى منه، حيث يتابِعُ أيُّوبُ كلامَه قائلًا:

’’...حَيٌّ هو اللهُ الذي نَزَعَ حَقِّي، والقديرُ الذي أمَرَّ نَفسي، إنَّهُ ما دامَتْ نَسَمَتي فيَّ، ونَفخَةُ اللهِ في أنفي، لن تتَكلَّمَ شَفَتايَ إثمًا، ولا يَلفِظَ لِساني بغِشٍّ. حاشا لي أنْ أُبَرِّرَكُمْ! حتَّى أُسلِمَ الرُّوحَ لا أعزِلُ كمالي عَنِّي. تمَسَّكتُ ببِرِّي ولا أُرخيهِ. قَلبي لا يُعَيِّرُ يومًا مِنْ أيَّامي‘‘.

من الواضِحِ أنَّ كَيلَ أيُّوبَ قد طفَحَ جرَّاءَ كلامِ أصحابِه. وهو يقولُ لَهُم إنَّه لا يهتمُّ باتِّهاماتِهِم، بل ما دامَتْ في أنفِه نَسَمَةٌ، فلن يتكلَّمَ بالإثمِ، وسيُحافظُ على استِقامَتِه. لذلك لن يقولُ إنَّه خاطئٌ فقد ليُرضِيَهُم، كما أنَّه لن يُبَرِّرَ بتاتًا كلامَهُم. وإلى أنْ يَموتَ، لن يُنكِرَ استِقامَتَه، وسيتمسَّكُ بِبِرِّه ما دامَ حيًّا.

ما نسمَعُه هنا، أعزَّائي المستَمِعينَ، هو ردُّ أيُّوبَ على أصحابِه، لكنَّنا سنرى لاحقًا ما قالَه أيُّوبُ للهِ العليِّ بعدَ أن تكلَّمَ الربُّ في الأصحاحاتِ الاخيرةِ من السِّفرِ.

وما يلفِتُ نَظَري هنا هو أنَّ من الخطأ أن نضَعَ أصحابَنا تحتَ الدَّينونةِ، أو أن نجعَلَ شخصًا ما يشعرُ بالذَّنْبِ، كما فعَلَ أصحابُ أيُّوبَ معَه. فعادةً ما يسعى الناسُ إلى تبريرِ ذواتِهِم عندَ تعرُّضِهِم لاتِّهاماتٍ بأنَّهُم منافِقونَ أو مُذْنِبونَ. وأنا لا أُفضِّلُ أن نتعامَلَ معًا بهذه الطَّريقةِ.

وكما رأيْنا في الأصحاحاتِ السابقةِ من السِّفرِ، فإنَّ أصحابَ أيُّوبَ كانوا يسعَونَ إلى جَعْلِه يشعُرُ بالذَّنْبِ، فيردُّ علَيهِم إنَّه متمسِّكٌ باستِقامَتِه وبرِّه، ولن يُبرِّرَ كلامَهُم الذي يحاوِلُ إدانتَه.

لكنَّنا سَنَرى قصَّةً مختلفةً حينَما بدأ الربُّ العليُّ بالكلامِ. ويُعلِّمُنا هذا أنَّ من الأفضَلِ أن نُصلِّي إلى الربَّ أن يُظهِرُ ذاتَه للنَّاسِ بَدَلَ أنْ نَدينَهُم أو أن نجعلَهُم يَشعُرونَ بالذَّنبِ. فلإظْهارِ اللهِ لذاتِه تأثيرٌ أقوى جدًّا من تأثيرِنا لدى محاولَتِنا إدانةَ النَّاسِ. فحينَما يؤثِّرُ اللهُ في الشَّخصِ سيصرُخُ قلْبُهُ قائلًا: ’’ويحي أنا الإنسان الشقيّ والخاطئ ‘‘. وسنرى لاحِقًا أنَّ أيُّوبَ طلبَ الغُفرانَ لنفسِه حينَما أظهَرَ الربُّ ذاتَه له. فتأثيرُ تدخُّلِ اللهِ مختلفٌ تمامًا عن تأثيرِ تدخُّلِنا.

وأحَدُ الدُّروسِ المُسْتَقاةِ من هذا الموقفِ هو: أنَّ من الأفضَلِ أن نصلِّي طالبينَ إلى اللهَ العادِلِ أن يُبكِّتَ الناسَ بروحِه القُدُّوسِ، ليَرَوا أنفُسَهُم بنورِه، على أن نحاوِلُ نحنُ أن نجعَلَهم يَشعُرونَ بالذَّنبِ على خطاياهُم، وحينَها قد نُثيرُ سَخَطَهُم. والمرجَّحُ هو أنَّ تدخُّلَ اللهِ العليِّ سيُحدِثُ تحوُّلًا جَذْريًّا في الموقِفِ القلبيِّ، أمَّا تدخُّلُنا فيُنتِجُ غالبًا سَخَطًا، وقد يجعَلُ الشخصَ يتصلَّبُ ويتمسَّكُ بموقِفِه الشرِّيرِ.

وخلاصةُ القَولِ هي أنَّ حُجَجَ أصحاب أيُّوبَ فَشِلَتْ في استيعابِ الموقفِ، ومساعَدةِ صاحبِهِم.

ونتابِعُ ما قالَه أيُّوبُ أيضًا في العددَينِ السابعِ والثامنِ من الأصحاحِ السابعِ والعِشرينَ، وجاء فيهِما:

''ليَكُنْ عَدُوِّي كالشِّرِّيرِ، ومُعانِدي كفاعِلِ الشَّرِّ. لأنَّهُ ما هو رَجاءُ الفاجِرِ عندما يَقطَعُهُ، عندما يَسلُبُ اللهُ نَفسَهُ؟''.

يُطرَحُ هنا سؤالٌ جيِّد: ''ما رجاءُ الشرِّيرِ عِندَما يموتُ حتَّى لو رَبِحَ العالَمَ كلَّه؟'' وفي هذا الإطارُ يقولُ يسوعُ المسيحُ في إنجيل متَّى الأصحاحِ السادسَ عشرَ والعددِ السادِسِ والعِشرينَ:

''لأنَّهُ ماذا يَنتَفِعُ الإنسانُ لو رَبِحَ العالَمَ كُلَّهُ وخَسِرَ نَفسَهُ؟ أو ماذا يُعطي الإنسانُ فِداءً عن نَفسِهِ؟''.

في الواقِعِ، هذا ما قالَه أيُّوبُ؛ فيسوعُ قالَ كلماتِ أيُّوبَ، لكنْ بمصطلَحاتٍ أُخرى. فما المكافأةُ التي سيَنالُها الشرِّيرُ والمنافِقُ لو رَبِحَ كلَّ شيءٍ، لكنَّ اللهَ طلبَ نفسَه؟ ما الذي سيَبقى له؟

ونستمرُّ في تأمُّلاتِنا في كلامِ أيُّوبَ في الأعدادِ من التاسِعِ إلى السابِعَ عشرَ من الأصحاحِ السابِعِ والعِشرينَ، ونقرأُ فيها:

''أفَيَسمَعُ اللهُ صُراخَهُ إذا جاءَ علَيهِ ضيقٌ؟ أم يتَلَذَّذُ بالقديرِ؟ هل يَدعو اللهَ في كُلِّ حينٍ؟ إنِّي أُعَلِّمُكُمْ بيَدِ اللهِ. لا أكتُمُ ما هو عِندَ القديرِ. ها أنتُمْ كُلُّكُمْ قد رأيتُمْ، فلماذا تتَبَطَّلونَ تبَطُّلًا؟ قائلينَ: هذا نَصيبُ الإنسانِ الشِّرِّيرِ مِنْ عِندِ اللهِ، وميراثُ العُتاةِ الذي يَنالونَهُ مِنَ القديرِ. إنْ كثُرَ بَنوهُ فللسَّيفِ، وذُرِّيَّتُهُ لا تشبَعُ خُبزًا. بَقيَّتُهُ تُدفَنُ بالموتانِ، وأرامِلُهُ لا تبكي. إنْ كنَزَ فِضَّةً كالتُّرابِ، وأعَدَّ مَلابِسَ كالطِّينِ، فهو يُعِدُّ والبارُّ يَلبَسُهُ، والبَرِئُ يَقسِمُ الفِضَّةَ''.

بتعبيرٍ آخَر، إنَّ الشرِّيرَ لن يَهْنَأَ بأفعالِه. فقد يجمَعُ لنفسِه ثروةً طائلةً، لكنْ إلى مَنْ ستذهَبُ بعدَ مَوتِه؟ مَنْ سيُنفِقُها؟ فالشِّرِّيرُ لن يأخُذَها معَه إلى القَبرِ. وهكذا يُبيِّنُ أيُّوبُ لنا المكانَ الذي سيكونُ فيه الشرِّيرُ بعدَ مَوتِه.

وعلى صَعيدٍ آخر، هذا المقطَعُ مهمٌّ؛ لأنَّ أيُّوبَ سَبَقَ أن قالَ إنَّ بعضَ الأشرارِ يتنعَّمونَ بالخيرِ والبركاتِ، لكنَّه يؤكِّدُ هنا أنَّ هناكَ يومًا سيأتي على الأشرارِ سيُدانونَ فيه. لذلك لا يشجِّعُ أيُّوبُ بتاتًا أن يعيشَ المرءُ بطريقةٍ شرِّيرةٍ، ولا يدافِعُ عن أسلوبِ الحياةِ ذاك؛ فهو يعرفُ نهايَتَه، حيثُ سيأتي يومٌ سيُقطَعُ فيه الأشرارُ ويَهْلِكونَ، في حينِ سيرتدي البارُّ ثَوبًا، وسيقسِمُ الفضَّةَ.

بعدَ ذلك نَقرأُ الأعدادَ من الثامنَ عشرَ إلى الثالثِ والعِشرينَ من الأصحاحِ السابِعِ والعِشرينَ، حيثُ يقولُ أيُّوبُ:

''يَبني بَيتَهُ كالعُثِّ، أو كمَظَلَّةٍ صَنَعَها النَّاطورُ. يَضطَجِعُ غَنيًّا ولكنَّهُ لا يُضَمُّ. يَفتَحُ عَينَيهِ ولا يكونُ. الأهوالُ تُدرِكُهُ كالمياهِ. ليلًا تختَطِفُهُ الزَّوْبَعَةُ. تحمِلُهُ الشَّرقيَّةُ فيَذهَبُ، وتَجرُفُهُ مِنْ مَكانِهِ. يُلقي اللهُ علَيهِ ولا يُشفِقُ. مِنْ يَدِهِ يَهرُبُ هَرَبًا. يَصفِقونَ علَيهِ بأيديهِمْ، ويَصفِرونَ علَيهِ مِنْ مَكانِهِ''.

والآنَ ينتقلُ أيُّوبُ إلى فِكرةٍ أُخرى في الأصحاحِ الثامنِ والعِشرينَ، حيثُ يَقولُ إنَّ هناك أماكِنَ يُستَكْشَفُ فيها الذَّهبُ والفِضَّةُ والحديدُ والنُّحاسُ، فيُنقِّبُ الناسُ الأرضَ والكُهوفَ، ويقلِبونَ الصُّخورَ ليَجِدوها، وقد يتمكَّنونَ من العُثورِ على هذه المعادِنِ باتِّباعِ عروقِ المادَّةِ الخامِ في الطبيعةِ، ويَجدونَها في أماكنَ لم يسبِقْ حتَّى لحَيواناتِ البرِّيَّةِ وطيورِها أن وقعَتْ عليها.

ثمَّ ينتَقِلُ الكلامُ إلى العددِ الثاني عشر من الأصحاحِ الثامنِ والعِشرينَ، ويقولُ فيه:

''أمَّا الحِكمَةُ فمِنْ أين توجَدُ، وأين هو مَكانُ الفَهمِ؟''.

رأينا، مستَمِعيَّ الكِرام، أنَّ الإنسانَ يُعطي قيمةً مرتَفِعةً للذَّهبِ والفِضَّة، ويُضَحِّي بالكَثيرِ ليُنقِّبَ عن هذه المعادِنِ النَّفيسةِ، ويُضطَرُّ أحيانًا إلى العَمَلِ في مناجِمَ مُظلِمةٍ تؤدِّي إلى اتِّساخِه، وكلُّ ذلك للعُثورِ على تلك الكُنوزِ الثَّمينةِ. والسؤالُ هنا: أين توجَدُ الحِكمةُ؟ وأين يكْمُنُ الفَهْمُ؟

ويُجيبُ أيُّوبُ عن ذلك السؤالَ في كَلامِه التالي في الأعدادِ من الثالثَ عشرَ إلى الخامِسَ عشرَ من الأصحاحِ الثامنِ والعِشرينَ، وجاءَ فيها:

''لا يَعرِفُ الإنسانُ قيمَتَها ولا توجَدُ في أرضِ الأحياءِ. الغَمرُ يقولُ: لَيسَتْ هي فيَّ، والبحرُ يقولُ: لَيسَتْ هي عِندي. لا يُعطَى ذَهَبٌ خالِصٌ بَدَلها، ولا توزَنُ فِضَّةٌ ثَمَنًا لها''.

أي أنَّ الحِكمةَ والفَهْمَ هما أكثرُ قيمةً من الذَّهبِ، ولا يستطيعُ الإنسانُ شراءَهُما بالمالِ.

ونواصِلُ تأمُّلاتِنا في الأصحاحِ الثامنِ والعِشرينَ، والأعدادِ من السادسَ عشرَ إلى الثامنِ والعِشرينَ، ونقرأُ فيها:

''لا توزَنُ بذَهَبِ أوفيرَ أو بالجَزعِ الكَريمِ أو الياقوتِ الأزرَقِ. لا يُعادِلُها الذَّهَبُ ولا الزُّجاجُ، ولا تُبدَلُ بإناءِ ذَهَبٍ إبريزٍ. لا يُذكَرُ المَرجانُ أو البَلُّورُ، وتَحصيلُ الحِكمَةِ خَيرٌ مِنَ اللَّآلِئ. لا يُعادِلُها ياقوتُ كوشَ الأصفَرُ، ولا توزَنُ بالذَّهَبِ الخالِصِ. فمِنْ أين تأتي الحِكمَةُ، وأين هو مَكانُ الفَهمِ؟ إذ أُخفيَتْ عن عُيونِ كُلِّ حَيٍّ، وسُتِرَتْ عن طَيرِ السماءِ. الهَلاكُ والموتُ يقولانِ: بآذانِنا قد سمِعنا خَبَرَها. اللهُ يَفهَمُ طريقَها، وهو عالِمٌ بمَكانِها. لأنَّهُ هو يَنظُرُ إلَى أقاصي الأرضِ. تحتَ كُلِّ السماواتِ يَرَى. ليَجعَلَ للرِّيحِ وزنًا، ويُعايِرَ المياهَ بمِقياسٍ. لَمَّا جَعَلَ للمَطَرِ فريضَةً، ومَذهَبًا للصَّواعِقِ، حينَئذٍ رآها وأخبَرَ بها،

هَيَّأها وأيضًا بَحَثَ عنها، وقالَ للإنسانِ: هوذا مَخافَةُ الرَّبِّ هي الحِكمَةُ، والحَيَدانُ عن الشَّرِّ هو الفَهمُ''.

نرى من جديدٍ أنَّ الفهمَ والحِكمةَ هما أثمَنُ من الجواهرِ واللآلئ والذَّهب، وأنَّه لا يُمكنُ شراؤهما. ومع أنَّ النَّاسَ يَعرِفونَ كيفَ ينقِّبونَ عن الذَّهبِ ويستَخرِجونَه، فَهُم لا يستطيعونَ العثورَ على الفَهمِ والحِكمةِ؛ لأنَّ الفهمَ والحكمةَ موجودانِ عِندَ الربِّ؛ فرأسُ الحِكمةِ مخافةُ الربِّ، والابتِعادُ عن الشرِّ.

الخاتمة

(مقدِّمُ البرنامَج)

رأينا في حَلَقةِ اليوم أنَّ أيُّوبَ يُدرِكُ أنَّه يَعيشُ في عالَمٍ ملآنٍ بالحُمقِ والجَهلِ ويحتاجُ إلى الحكمةِ والفَهْمِ. ومن المهمِّ أن نميِّز هنا ما بين الفَهمِ والحِكمة: فالفهمُ هو استيعابُ الحقائقِ، والحِكمةُ هي تطبيقُ ما يفعله المرءُ بما فَهِمَه. وأعتقدُ أنَّ الواعظَ المشهورَ تشارلز سبيرجون (Charles Spurgeon) عبَّرَ عنِ الأمرِ بمنظورِ مناسبٍ حينَما قال: ''الحكمةُ هي الاستِخدامُ الأمثَلُ للفَهْمِ''.

في الحَلَقةِ المقبِلةِ من برنامَج ''الكلمةُ لِهذا اليوم''، سيواصِلُ القسُّ تشَك كلامَه عن الحِكمةِ وقيمَتِها ومصدَرِها الأمْثَلِ.

كلمةٌ خِتاميَّة

(الرَّاعي تشَك سميث)

صلاتُنا لأجلك، عزيزي المستَمِع، أن تطلُبَ ملكوتَ اللهِ وبرَّه، وأن تكنِزَ لكَ كنزًا في السَّماءِ، بدلَ التمسُّكِ بسَرابِ الغِنى الباطِلِ. ونصلِّي أيضًا أن تطلُبَ المزيدَ من الفهمِ والحِكمةِ لتَسْلُكَ بقداسةٍ وفِطنةٍ في هذا العالمِ الموضوع في الشرِّيرِ. ونصلِّي أخيرًا أن تقدِّسَ الربَّ العليَّ بروحِكَ، وذلك بتمسُّكِكَ بالإيمانِ به وطاعةِ كلمتِه. بِاسْمِ يسوعَ المسيح نصلِّي. آمين!